

محورية القرآن الكريم في الخطاب الدعوي للشيخ محمد الغزالي The centrality of the Noble Qur'an in the advocacy speech of Sheikh Muhammad Al-Ghazali

عبدالحق قواو¹ أ.د/ عبدالرحمان تركي

معهد العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

مخبر إسهامات علماء الجزائر في الدراسات الإسلامية

ilhamgaouaou@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/12/23

تاريخ الإرسال: 2021/02/09

الملخص:

تتناول الدراسة جهود الشيخ محمد الغزالي - رحمة الله عليه- في استدعاء القرآن الكريم للساحة المعرفية والفكرية لبناء مضامين الخطاب الدعوي وإنهاء حالة الهجر والفصام بينه وبين الواقع الإنساني، وجعله المصدر الأول والأهم في بناء التصور المعرفي الحضاري لخطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، وعالج البحث: مكانة القرآن الكريم في الخطاب الدعوي للشيخ محمد الغزالي وأهمية الانتقال من القراءة الحرفية التجزيئية لنصوص القرآن الكريم إلى القراءة المقاصدية المتفاعلة مع الواقع المعاصر للدعوة الإسلامية.
الكلمات المفتاحية: محمد الغزالي؛ محورية؛ الخطاب؛ الدعوة.

Abstract:

The study deals with the efforts of Sheikh Muhammad Al-Ghazali - may God have mercy on him - in summoning the Noble Qur'an to the cognitive and intellectual arena, to build the contents of the advocacy discourse and end the state of abandonment and schizophrenia between it and the human reality, and make it the first and most important source in building the cognitive perception of the contemporary Islamic advocacy discourse. The status of the Noble Qur'an in the preaching discourse of Sheikh Muhammad al-Ghazali, and the importance of moving from a literal and piecemeal reading of the texts of the Noble Qur'an to a meaningful reading that interacts with the contemporary reality of the Islamic call.

Key words: Muhammed al-Ghazali; axial; discourse; advocacy.

مقدمة:

الشيخ محمد الغزالي من الدعاة المعاصرين الذين تركوا بصمتهم في مسار الدعوة الإسلامية، تجديدا في المضمون والأسلوب، وأهم ما ميز خطابه الدعوي عنايته بالقرآن الكريم استشهادا بنصوصه وفهما لمقاصده، وعناية بتوجيهاته؛ فصلاحيّة القرآن الكريم لكل زمان ومكان تقتضي تفاعل العقل معه تدبرا وفهما واستيعابا، في محاولة تنزيل نصوصه على الوقائع المتغيرة والأحداث المستجدة، اقتداء بالسلف الصالح عبر تاريخ الحضارة الإسلامية في تفاعلهم مع نصوص الوحي، وهذا ما يبرّر ثراء المكتبة الإسلامية بكتب

¹ - المرسل المؤلف.

التفسير وتنوع مناهجه وتعددتها، كلها مقاربات ودراسات في فهم القرآن الكريم والتفاعل مع آياته، قصد تنزيلها على مختلف الوقائع والأحداث.

ولعل الحاجة إلى تجديد المعارف القرآنية، وتجديد الصلة والتدبر في نصوص ومعاني القرآن الكريم في الراهن المعاصر ضرورة شرعية، وحتمية تاريخية وواقعية لا مناص منها، لتحقيق تكامل القراءة بين الوحي وبين المنتج المعرفي البشري، والإفادة منه في مختلف المجالات والتخصصات الاجتماعية والإنسانية، وفق شروط وأسس علمية تصل الماضي بالحاضر والتراث بالحديث دون قطيعة معرفية. فكيف يمكن رصد جهود الشيخ الغزالي العلمية في هذا الصدد؟ وما أهم أعماله الدعوية المستندة على محورية القرآن الكريم؟ وما قيمة تراثه العلمي في بناء الخطاب الدعوي المعاصر؟ وأهمية هذا البحث هي المساهمة في التعريف بمشروع الشيخ محمد الغزالي لإعادة مركزية القرآن في خطاب الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

لذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى ما يلي:

- إثراء الساحة العلمية والدعوية والاطلاع على تجربة الشيخ العلمية في مدارسته للقرآن والإفادة منها نظريا وعلميا.

- محاولة تقييم خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، ومدى تقاطعه مع مقاصد القرآن الكريم. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي يتناسب مع طبيعة الطرح لهذا الموضوع في إطار العناصر التالية:

مقدمة ثم مدخل مفاهيمي: يتم التعريف فيه بمصطلحي الخطاب والدعوة وبيان لمفهوم محورية القرآن في الخطاب الدعوي. أما العنصر الثاني فكان موجز لسيرة الشيخ محمد الغزالي - رحمة الله عليه- من خلال ذكر مولده ونشأته وأهم المحطات الدراسية والعلمية التي صنعت فكره وشخصيته الدعوية، ثم مناقبه وآثاره ووفاته. والعنصر الثالث تناول علاقة الشيخ بالقرآن وإنتاجه العلمي والمعرفي في خدمة القرآن الكريم، كما تضمن تعريف موجز لأهم مؤلفاته المتعلقة بالقرآن. أما العنصر الرابع فتم التطرق إلى مقاصد القرآن الكريم في فكر الشيخ الغزالي: جاء على ذكر مشكلة الفهم الحرفي لنصوص الوحي، كما تناول أهمية القراءة المقاصدية الكلية للقرآن، ثم بيان أهمية الرؤية المقاصدية في الخطاب الدعوي المعاصر، لينتهي المقال بخاتمة تبرز أهم النتائج المتوصل إليها، وأهم التوصيات.

أولاً: مدخل مفاهيمي

ويتضمن تعريفاً بمصطلحي: الخطاب، الدعوة.

1- تعريف الخطاب:

التعريف اللغوي: تفيد المادة اللغوية "خطب" الكلام بين اثنين، يقال: خطبه يخاطبه خطاباً¹، والخطابة هي قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص مُعتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعل الخطباء والوعاظ².

التعريف الاصطلاحي: وردت عدة تعاريف تختص بالمفهوم الاصطلاحي للخطاب، نذكر منها:

"لون من ألوان القول، يحشد به الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير على سامعيه، وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة"³.

2- تعريف الدعوة

التعريف اللغوي: جاء في معجم مقاييس اللغة "أن (الدال والعين) الحرف المتصل، ومعناه: أن تُمِيلَ إليك الشيء بصوت وكلام يكون منك، تقول دعوت، دعوة، ودعاء، والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة إلى النسب بالكسر، ومنه داعية اللبن وهو ما يُترك في الضرع يُطلب به ما بعده، ومنه تداعت الحيطان إذا سقط واحد وراء آخر فكأن الأول يدعو الثاني"⁴.

التعريف الاصطلاحي: لما كانت الدعوة في اللغة هي النداء والاستمالة إلى الشيء، وكان النداء نداءً إلى خير أو شر، كانت الدعوة دعوة إلى الخير والهدى أو إلى الشر والضلالة، قال ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً"⁵.

جاء في تعريف الدعوة: "تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب تتناسب مع المدعويين على مختلف أصنافهم وعصورهم"⁶.

ومن هذا التعريف لمصطلح "الدعوة" يتبين لنا أنها وظيفة مُركبة ينبري لها من اختاره الله وميزه روحاً وعقلاً وخلقاً، للقيام بالبيان والحجة على الناس، تحبيبا لهم في الحق والخير، وتحذيراً من الشبهات والشهوات، وبناء للفرد، وصناعة للحضارة، وقياماً بشروط الاستخلاف، تحقيقاً لمراد الله عز وجل: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61)؛ وعرفها الشيخ محمد الغزالي بأنها "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليُبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"⁷.

ثالثاً: مفهوم محورية القرآن في الخطاب الدعوي المعاصر

يرتكز الخطاب الدعوي ابتداءً على القرآن الكريم كمصدر أول للوحي، وقد يقترب الخطاب أو يبتعد عن هذا المصدر باختلاف الزمان والمكان والبيئة والخلفية التكوينية للقائم بالعملية الدعوية، وفي هذه الدراسة محاولة بيان أهمية القرآن الكريم في بناء خطاب دعوي معاصر متكامل.

"النص يستنتق من خلال المنهج الذي هو نحت بشري، ونحن في مقاربتنا ومنهجنا هنا سنبتعد عن تجزيء القرآن، وذلك عبر دراسته كنسق متكامل يخدم بعضه بعضاً، أو على الأقل هذا ما نزع أننا سنحاوله"⁸.

ثانياً: موجز لسيرة الشيخ محمد الغزالي

ولد محمد الغزالي السقا في 1917/09/22م في قرية نكلا العنب بمحافظة البحيرة بمصر. ونشأ في أسرة محافظة يغلب عليها العمل بالتجارة، وكان والده من حفظة القرآن الكريم فنشأ الابن على ذلك⁹، وقد اختار الوالد لابنه البكر الاسم المركب محمد الغزالي، تيمناً بالفقيه الشافعي المتصوف صاحب كتاب إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي، لشدة إعجابه به وتأثره بنزعة الصوفية، وقد رآه ذات ليلة في المنام يخبره أنه سيتزوج وينجب ولداً، ويشير عليه بأن يسميه الغزالي وقد كان ذلك¹⁰؛ انتقل الغزالي الغلام من كتاب القرية إلى المعهد الديني المتخصص لمحافظة البحيرة في الإسكندرية سنة 1928م ليحصل على الشهادة الابتدائية بعد سنوات أربع، ثم شهادة الكفاءة بعد ثلاث سنوات، ثم شهادة الثانوية بعد سنتين سنة 1937م.

وفي العام نفسه التحق الغزالي الشاب بالتعليم العالي الأزهرى بالقاهرة، ليبداً دراسته بكلية أصول الدين، حيث تلقى العلم فيها على يد كوكبة من كبار العلماء، أمثال: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد العظيم الزرقاني، وبعد سنوات أربع نال شهادته العليا سنة 1941م، ليتخصص في الدعوة والإرشاد¹¹.

في هذه الأثناء كان محمد الغزالي قد وضع أقدامه على طريق الثقافة الإسلامية الرشيدة، فكان نهم القراءة متعدد المواهب، مطلاً على كل الأفاق الثقافية مع التعمق في الثقافة الإسلامية والآداب العربية¹²، وهذه أحد أهم الروافد التي صنعت فكر الشيخ في انفتاحه على مختلف المدارس الفكرية القديمة والحديثة، واستيعابه لثقافة الاختلاف دون جمود ولا انغلاق، ما جعل فكره متميزاً عن غيره من الدعاة والمصلحين؛ يقرأ ويسمع له المؤيد والمخالف، ويحترم رأيه حتى وإن لم يوافق في بعض ما يطرحه، جمع بخطابه جمهوراً عريضاً من عامة الناس وخاصتهم على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم على القواسم الجامعة، وأثار الطريق للعاملين في ميدان الدعوة ليحسنوا خدمة دينهم وأوطانهم، بما حباه الله به من أسلوب ومرونة في الدعوة إلى الله.

وفي التاسع من مارس 1996م كان الشيخ مشاركاً في مؤتمر علمي بالرياض حول "الإسلام وتحديات العصر"، اشتد النقاش بينه وبين أحد المشاركين، تأثر الشيخ وأصيب بدبحة صدرية انتقل إثرها إلى جوار ربه وهو على منبر الدعوة إلى الله، ودفن في البقيع بالمدينة المنور، بجوار الحبيب المصطفى وصحابته الكرام كما تمنى طوال حياته رحمة الله عليه.

وقد خلف الشيخ ثروة علمية ودعوية كبيرة، منها المكتوب ومنها الرقمي، بالإضافة إلى المقالات في مختلف المجالات، وخلاصة القول في تراث الشيخ من عالم الخطابة والتأليف والتوجيه، أنها مدرسة في فهم الإسلام ومعالجة الأمراض الفكرية والاجتماعية والسياسية التي انتشرت في العالم العربي والإسلامي من خلال استيعاب نصوص الوحي ومقاصدها الكبرى، وفهم دقيق للواقع الذي عاشته الدعوة الإسلامية خلال القرن العشرين فقيل عن خطبه: "أنشأت هذه الخطب مدرسة إسلامية في فهم الإسلام وإفهامه، وهي مدرسة تقدم الدين من ينابيعه الصافية، موثقاً بالأدلة، خالصاً من الزوائد والشوائب، بعيداً عن التحريف والتزييف، لا تسكت عن حق ولا تتكلم بباطل ولا تنيع ديناً بديناً، ولا تعتمد الإثارة والتهيج في الموضوعات الحساسة، بل تعالج أدق القضايا بمبضع الجراح متبعاً الكلمة والموعظة الحسنة"¹³.

أما تراثه في التأليف الذي قارب الستين كتاباً فهي ثروة معرفية تجديدية للخطاب الإسلامي المعاصر "ومن قرأ للغزالي أدرك أنه أمام كاتب من الطراز الأول وأن القلم في يده أشبه بالسيف في يد خالد بن الوليد أو صلاح الدين الأيوبي، فهو سيف الله المسلول على أعدائه، به يدافع، به يهاجم، وهو قوي في دفاعه، قوي في هجومه، دون أن يعتدي على أحد فإن الله لا يحب المعتدين"¹⁴. كانت مؤلفاته حصناً وسداً منيعاً ضد الأفكار الوافدة من الشرق أو الغرب، دافع بها عن تميز نظرة الإسلام للحياة وللإنسان ولمختلف المجالات لأنه الرسالة الخاتمة لهداية الإنسانية.

ثالثاً: مكانة القرآن في فكر الشيخ محمد الغزالي

اتخذت علاقة الشيخ محمد الغزالي بالقرآن الكريم مظهرين اثنين، أولاهما: نشاطه الدعوي من محاضرات وخطب ودروس وأحاديث إذاعية وأخرى متلفزة، وثانيهما: إنتاجه المعرفي المكتوب، من مؤلفات ومقالات وما تم جمعه من خطبه ودروسه أو مما تركه من كتب لها علاقة بالدراسات القرآنية المتخصصة.

الشيخ الغزالي في رحاب القرآن الكريم:

بدأ الشيخ رحلته مع القرآن الكريم منذ صباه، فقد ولد في بيئة محافظة وأسرة تُولي أهمية كبيرة لكتاب الله، أتم حفظ القرآن وسنه لم يتجاوز العاشرة، وكانت بداية تبشّر بنبوغ وذاكرة قوية، وكتب تلميذه ورفيق دربه العلامة يوسف القرضاوي شهادة بذلك: "حفظ الشيخ القرآن حفظاً جيداً منذ صباه، فقلما تند منه آية أو

كلمة، أو تلتبس عليه آية أخرى، وهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، ويقرأ ما تيسر منه في صلواته - إماماً أو مأموماً أو منفرداً- من حيث وقف ورده. ولم أره احتاج إلى المصحف الشريف للقراءة أو للمراجعة، إنما مصحفه في صدره¹⁵.

ويذكر الشيخ جانباً من اهتمامه بالقرآن منذ الصغر، وأنه كان يأخذ أفهاماً ساذجة عن معاني الألفاظ، منها قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء: 13) كان فهمه حينها: أنها غراب أو حمامة تجعل في عنق الإنسان، ومرد ذلك إلى طريقة التلقين المقتصرة على الحفظ، فكان يمر على الآيات دون وعي بمعانيها حتى تقدمت به السن فأرغم نفسه وحملها على العودة إلى القرآن ليدقق النظر والفهم ويترك عادة الحفظ المجرد عن التدبر ويحاول الفهم والتدبر كل مرة¹⁶.

وتواصلت مسيرة الرجل مع كتاب الله استحضاراً لمعانيه، في الأنفس والآفاق، متدبراً بعقله وخاشعاً بقلبه، يضع كل آية موضعها، يسترشد في تفسيره التوجيهات الربانية للفرد والمجتمع بأسلوب قل نظيره بلاغة وبساطة، يُفيد منه العالم المتخصص في علوم الشريعة كما الأُمي الغريب عنها، "وهو لا يتعامل مع القرآن بعقله وحده، بل بعقله وقلبه معاً، وحين كنا نستمع إليه في صلاه التراويح، ونحن في معتقل الطور، كنا نحس أن للرجل حالاً مع القرآن يستبشر بوعده، ويرتعش من وعيده، ويتجاوب مع قصصه، ويحيا في عبره وأيام الله فيه، فتلاوته ليست تلاوة محترف ولا غافل، بل تلاوة عقل يقظ، وقلب مشرق، ووجدان حي"¹⁷.

ولم ينقطع خطابه للناس بحديث القرآن، قصصه وعبره، حكمه وأحكامه، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وفي المساجد عبر مختلف المحطات الدعوية التي مر بها، من "مصر"¹⁸، إلى "الجزائر"¹⁹ مروراً بقطر و"المملكة العربية السعودية"²⁰، وفي كل أقطار العالم الإسلامي التي نزل بها، "وقد اختار لنفسه لما جاء إلى جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة أن يتولى تدريس تفسير القرآن الكريم"²¹، فقد كان القرآن الكريم لسان حاله ومقاله، بها يُبلغ كلمة الحق إلى الناس وعن طريقها يُرغب الناس في الخير ويرشدهم إلى سبيله.

الدراسات العلمية للقرآن في فكر الغزالي

ترك الشيخ تراثاً فكرياً ذا قيمة علمية ثرية في ميدان الدراسات القرآنية، تعكس علاقته بالقرآن، وبحثه العميق والدقيق في سوره وآياته خلال مساره الدعوي وجهاده المعرفي في سبيل النهوض الحضاري الذي ينشده العاملون في حقل الدعوة والإصلاح، ومن هذه الدراسات القرآنية ذات الصلة المباشرة نذكر:

1- "نظرات في القرآن"²²: الكتاب الثامن عشر في ترتيب مؤلفات الغزالي، يقع الكتاب في 232 صفحة، تضمن دراسات في القرآن الكريم وبعض علومه كنبوته ونزوله وجمعه، النسخ والمنسوخ ومسائل في التفسير الموضوعي "ويمس الكتاب قضايا دينية واجتماعية تشغل بال المسلمين خاصة، وبال العالم عامة، فإن العلم المعزول عن الواقع لا سبيل له في كتب الغزالي ولا في لبه، والقرآن نفسه كتاب لا يُستطاع عزله عن الحياة أبداً، فما نزل إلا ليُخطى أو يُصوب من أفكارها، وإلا ليمحوا أو يُثبت من أحوالها"²³. ومن الموضوعات المهمة في الكتاب:

- نماذج وصور في القرآن: الإنسان، الحياة، الثروة، الألوهية، النبوة.
- الإعجاز القرآني: النفسي والعلمي والبياني.
- القرآن وأهل الكتاب: حاجة العالم إلى القرآن.
- حول النسخ.

2- "معركة المصحف في العالم الإسلامي"²⁴: يقع الكتاب في 262 صفحة، تناول فيه المؤلف وضع الإسلام بين أهله والعالمين ، والدعوة إليه وما تعترضه من عقبات، وبين صلاح القرآن للفرد والحكومات، وكيف يمكن النهوض به"، يرى المؤلف أن المسلمين يعتقدون أن ما بين دفتي المصحف هو مراد الله من عباده ، وأنه يمثل قواعد الدين الواحد الذي جاء به جميع المرسلين، وهو الوحي الذي سيصحب الإنسانية حتى النهاية، وأن المصحف سورة تامة للحق في العقيدة والعبادة والخلق والمعاملة تكفل للأمة معاشها هنا ومعادها هناك"²⁵.

ومن موضوعات الكتاب المهمة:

- المصحف للنفس والمجتمع والدولة: بين المسيحية والإسلام، الحكم المدني.

- نحو تجديد الإسلام وتحرير أمته: الاستفادة من عبر التاريخ، طبيعة الحضارة الحديثة.

- في سلم النهوض: الإصلاح السياسي، الحرية، تزوير المفاهيم.

3- "كيف نتعامل مع القرآن الكريم"²⁶: والكتاب عبارة عن مدارس أجراها معه الأستاذ "عمر عبيد حسنة"²⁷، تدور محاورها حول مناهج فهم القرآن المجيد وقضايا تفسيره وتأويله وتصنيفه وتبويبه، وعلاقاته بعلوم المسلمين قديما وحديثا، وكيفية جعله المصدر الأول لثقافة المسلم المعاصر، ومعرفته وعلمه وتوجيهه، كما يمكن العقل المسلم من العودة إلى التعامل السليم مع القرآن، ويعيده إلى مركز الدائرة في عقل ووجدان المسلم المعاصر ومعرفته وحضارته، ليستعيد العقل المسلم عافيته ويسترد القرآن المجيد دوره في العطاء وإنارة الطريق للإنسانية.

ومن محاور الكتاب المهمة:

- من آثار هجر القرآن.

- دور المناهج التراثية في فهم القرآن والتعامل معه.

- الحاجة إلى فقه السنن الكونية.

- الاستبداد السياسي ووسائل التغيير في الخطاب القرآني.

- تأسيس منهج العودة إلى القرآن.

4- "المحاور الخمسة للقرآن الكريم"²⁸: يقع الكتاب في 240 صفحة، تناول فيه خمس محاور رئيسة كما هو في عنوان الكتاب، ويمكن تصنيف الكتاب ضمن علم التفسير الموضوعي ، وفق منهج جمع الآيات في الموضوع الواحد مع التركيز على أهم المواضيع التي عني القرآن بها، والمحاور الخمس هي القضايا الكبرى الواردة في القرآن وفق منهج الشيخ، مرتبة حسب أهميتها على هذا النحو: الله الواحد؛ الكون الدال على خالقه ؛ القصص القرآني؛ البعث والجزاء؛ ميدان التربية والتشريع. ومما جاء في مقدمة الكتاب بيانا للثورة الفكرية والاجتماعية التي أحدثها القرآن صحح بها مسار الإنسانية من الضلال إلى الهدى. رد فيها على المزاعم المشككة في ربانية المصدر لهذا الوحي الخاتم، وتنسبه جهلا وجحودا لمحمد ﷺ: "إن الحماس يشتعل في الآيات النازلة على مدى ربع قرن تسبيحا لله وتمجيذا... واقتلاعا للأهواء والخرافات التي صرفت الناس عن ربهم الكريم... ماذا لمحمد في هذا الكتاب الذي قالوا: إنه ألفه؟ وقرأت الكتب المنسوبة إلى السماء، في زعم خصوم محمد، فمعنى هذا أن محمدا أقدر على صنع الدين من رب الدين؟ وأنه أفصح في الثناء على الله من الله عندما يتحدث عن نفسه؟"²⁹.

5- "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن"³⁰: يقع الكتاب في 564 صفحة، اقترح الشيخ الغزالي في مؤلفه منهجا جديدا في البحث عن وحدة الموضوع لكل سورة، وتقديمها على أنها كل متكامل من الدروس

والتوجيهات، أخذ فيه بعين الاعتبار الواقع الذي تعيشه الدعوة الإسلامية وتحتاج فيه إلى حلول قرآنية، وبين الهدف الذي سعى إليه من خلال كتابته لهذا المؤلف فقال "والهدف الذي سعيت إليه أن أقدم تفسيراً موضوعياً لكل سورة من الكتاب العزيز. والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضوعي: الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام، أما الأول فهو يتناول السورة كلها يحاول رسم (صورة شمسية) لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيداً لآخرها، وآخرها تصديقاً لأولها"³¹. وفهرسة الكتاب تغطي جميع سور القرآن وتقدم تفسيراً موضوعياً مختصراً لكل سورة من سور.

هذه الآثار العلمية وغيرها مما كتبه الشيخ في مقالات ومؤلفات أخرى تبين اهتمامه الكبير بالقرآن، إذ جعل منه محور علمه وفكره، بما آتاه الله من فقه وفهم للمقاصد الكلية فيه "وأكبر مظهر لمكانة القرآن الكريم عنده حضوره في كل أعماله، ولا نبالغ إذا قلنا إن أعماله كانت قرآنية، لأنه ندب نفسه لحمايته والدفاع عنه ورد ما ران على قلوب الناس من خلفية بعيدة عن حقيقته سواء من المؤمنين به أو من الكافرين الجاحدين له"³².

رابعاً: القرآن الكريم من القراءة التجزئية إلى القراءة المقاصدية

تعددت مناهج دراسة وتفسير القرآن الكريم من مدرسة إلى أخرى، حسب المجال والتخصص الذي اهتمت به كل مدرسة، وتبعاً للخلفية المعرفية للمفسر، فمن المدرسة الأصولية ودقة ضبطها في مسائل التشريع والأحكام، إلى مدرسة التربية والتركيب في مجال بحثها عن الأخلاق والآداب، واستحضار جلال وهيبه الله، إلى المنهج الفلسفي ودوره في الدفاع الفكري عن الرسالة الإسلامية أمام تحديات الفلسفة اليونانية والشبهات التي واجهت الفكر الإسلامي حينها. "هناك مدارس في التفسير، متعددة في فهم القرآن، تشكل في مجموعها طرائق السلف ومسالكمهم في التناول والفهم، ولقد جاءت هذه المدارس في ضوء تحقيق أهداف بلاغية لغوية أو فقهية أو كلامية أو صوفية، أو فلسفية تربوية. كيف يمكن الإفادة منها والتعامل معها اليوم..."³³.

فالحضارة الإسلامية، والمعارف التي تشكلت عبر تاريخها في مختلف العلوم والمجالات، وخاصة ما تعلق منها بكتاب الله تأويلاً وتفسيراً، كانت ولا زالت تتطور من عصر لآخر، وهذا شأن جميع العلوم والتخصصات العلمية أو الإنسانية أو الاجتماعية، كل واحد منها يعرف يوماً بعد يوم زيادة في التخصص وتعمقاً في الفروع، وأياً كان فعلى المتخصص في الفروع أن لا يغفل عن الأصول، والمنقرع في الجزئيات أن لا يتيه عن الكليات، والمتشابه ظني الدلالة من نصوص الوحي، يُرد إلى المحكم قطعي الدلالة، "والنظرة الشاملة الآن بدأت تفرض نفسها على الثقافة الإنسانية، وفي الوقت نفسه توسعت شعب التخصصات على أساس خدمة النظرة الإنسانية العامة... في الطب مثلاً تجد طبيباً متخصصاً في العيون، وآخر في القلوب، وثالثاً في الأنف والأذن والحنجرة، فالشيء الواحد بدأ يتفرع إلى تخصصات، لكن الأساس كله: لابد من دراسة الإنسان من قبل ومن بعد، لأنه لا معنى للتخصص قبل الشموليات، فالتخصص هو: معرفة جزء من كل، لكن هذا الجزء لا يُنظر إليه مبتوراً ومنفصلاً عن موضوعه"³⁴.

القرآن ومشكلة الفهم

عن الإمام أحمد - رحمه الله - قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال: (وذاك عند أوان ذهاب العلم، قلنا يا رسول الله، كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرئه أبناءنا، وأبنائنا يُقرئون أبناءهم ؟ فقال: تكلتك أمك يا ابن

لبيد، إن كنت لأراك أفتقه رجل في المدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى بين أيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء؟³⁵.

إن حفظ القرآن الكريم من التحريف اللفظي الذي عرفته الكتب السابقة، ضمنه الله عز وجل للأمة الإسلامية، ببقاء النص القرآني الكريم محفوظا في الصدور والسطور، لا يعتريه تحريف ولا يطاله تغيير، خالد خلود رسالة الإسلام ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9) وحفظ القرآن لفظا ومتنا لا يعني بالضرورة جمود نصوصه على معنى واحد أو تفسير واحد، فالقرآن مُيسر لمختلف المستويات والفهم، لا تنتهي عجائبه ولا تنتضي أسرارها، يتفاعل مع المتغيرات الزمانية والمكانية، يقرأه المسلم البسيط في فهمه وعلمه، فيستقي منه ما شاء الله له من العبر والحكم، ويقرأه العالم فيكشف له الله من الأسرار والحكم والأحكام ما شاء الله له أن يكشف؛ ففي نصوص القرآن الكريم المحكم الواضح البين، وفيها المتشابه الذي ترك الله فيه لعقل الإنسان وفكره حرية الفهم والتدبر وفق ضوابط ومناهج يعرفها الراسخون في العلم.

وبالعودة لواقع المسلمين اليوم في علاقتهم مع القرآن الكريم التي يحكمها الهجر والعقوق، يصدق فينا قول الله عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ (البقرة: 78)³⁶، أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة وترتيلا، وهذه العلل التي حذر منها القرآن الكريم عن سلوك الأمم السابقة في تعاملها مع الكتب المنزلة عليهم، لم ترد في صيغة القصة العابرة، أو ذكر بعض التفاصيل التاريخية الماضية فقط، بل جاءت في سياق التحذير من الوقوع في خطيئتهم، وأخذ العبرة والعظة من تعامل الأمم السابقة مع الأنبياء والمرسلين ومع الكتب السماوية المنزلة عليهم، "والأمية العقلية هذه، تسود الأمة في حال التقليد، والغياب الحضاري، والعجز عن تدبر القرآن، والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق، وحسن تسخيرها، ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاز من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه"³⁷.

فالمشكلة اليوم: تكمن في منهج تعامل المسلمين مع القرآن الكريم، من هجر التدبر في معانيه وفهم مقاصده وغاياته الكبرى، إلى التلاوة السطحية المجردة عن الوعي، التي يغيب فيها العقل والقلب، ويغلب عليها الاهتمام بالحرف على حساب المعنى، والتركيز على القضايا الفرعية لبعض الأحكام الشرعية، وإهمال القضايا الكبرى في مجال السياسية والمجتمع والنفس والمشكلات الحضارية. أصبح القرآن من خلالها لا يستدعى إلا في حالات الاحتضار والموت، أو في زيارة المقابر في قراءات لا تتجاوز الشفاء، يصدق فينا حديث رسول الله ﷺ: "سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"³⁸.

وإلى نفس هذا المعنى أكد مالك بن نبي على ضرورة تطوير فعالية العقل المسلم مع نصوص القرآن حسب التطور الإنساني في شتى حقول المعرفة الإنسانية: "إذ أنه بقدر ما تتطور معارفنا حول الطبيعة والنفس الإنسانية، وكلما اكتسبنا سببا جديدا يحملنا على أن نرى الأشياء من زاوية مختلفة، فإن ذلك يدعونا إلى أن نضع المشكلات حين ندرسها بما يتفق وهذا الجديد مع واقع العلم، والمسألة القرآنية لا ينبغي لها أن تخرج عن هذه القاعدة"³⁹.

فاتساع المعرفة، وتنوع روافدها، وتعدد مصادرها، بالنسبة للمفسر أو المشتغل في حقل الدعوة، المتفاعل مع نصوص القرآن الكريم، تفتح أمامه آفاقا جديدة ورحبة لفهم القرآن الكريم بشكل متجدد، يرى من خلالها أسرار الكتاب الخالد في النفس والآفاق، في الحكم والأحكام ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: 53).

فقد تعهد الله عز وجل بحفظ القرآن من التحريف الحرفي، وترك لعقل المسلم بعدها واسع النظر في فهمه واستيعاب نصوصه بما يتناسب مع التطور الإنساني، استيعاباً تُحفظ فيه الأصول والمقاصد الكبرى التي رسمها، ومرونة في التفاصيل الحياتية للإنسان، ما يعكس خلود الرسالة الخاتمة وصلاحتها لكل زمان ومكان، لذا ينصب الجهد الذي على الدعاة بذله اليوم في التعامل مع القرآن الكريم، هو محاولة الفهم المتجدد في تنزيل النص على الواقع والابتعاد عن التقليد والتكرار بغير وعي لمن سبق من سلف علماء الأمة "والجهود في ما نرى اليوم يجب أن تنصب على منهج الفهم، وإعادة فحص واختبار المناهج القائمة التي أورتتنا ما نحن عليه، والتحرر من تقديس الأبنية الفكرية الاجتهادية السابقة التي انحدرت إلينا من موروثات الآباء والأجداد والمناخ الثقافي الذي يحيط بنا منذ الطفولة، ويتسرب إلى عقولنا في شكلها بطريقة التفاعل الاجتماعي"⁴⁰.

وبلا شك أن التقليد لاجتهادات السابقين - مع حفظ جهودهم واجتهادهم لعصرهم وزمانهم - عطل على اللاحقين ملكة العقل والتدبر في أسرار القرآن الكريم، وفوت على الأمة فرصة الاستفادة والإفادة من نصوص الوحي في مختلف المجالات، "الأمر الذي أدى إلى انكماش الفكر والرؤية القرآنية في واقع حياتنا، وتحول القرآن من مراكز الحضارة وصناعة الحياة، إلى الركود والتحنط في بطون التاريخ التي تشكلت في عصور التخلف والتقليد والتي حالت دون إدراك أبعاد النص القرآني، والقدرة على تعديته للزمان والمكان"⁴¹.

ويمكن إرجاع سبب ترك الاجتهاد في تجديد الفهم لنصوص الوحي، إلى التوهم بأن ما قدمه السابقون من فهم واجتهاد هو نهاية الاجتهاد والفهم، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وأن الأولين ما تركوا للآخرين شيء يجتهدون فيه، بالإضافة إلى لتوجس والخوف من الخروج عن مسار فهم السلف أو الخوف من الخطأ، بالرغم من الدعوات المتكررة في القرآن الكريم لضرورة بذل الوسع لاستيعاب نصوص الوحي، وإعمال الفكر في آيات القرآن الكريم تدبراً وفهماً، واجتهاداً في التفسير والتحليل، وأن المجتهد في كل الأحوال له أجر عند ربه مصيباً كان أو مخطئاً".

إن الدعوة إلى محاصرة العقل والحجر عليه، وقصر الفهم والإدراك والتدبر على فهوم السابقين، هو الذي ساهم بقدر كبير في الانصراف عن تدبر معاني القرآن، وأقام الحواجز النفسية المخيفة التي حالت دون النظر، وأبقى الأقفال على القلوب، وصار القرآن تناعيم وترانيم وبدل أن يكون الميراث الثقافي وسيلة تسهل الفهم، وتغني الرؤية، وتعين على التدبر، أصبح عائقاً دون هذا كله"⁴².

انسحبت بهذا الخلل في الرؤية والفهم، قدسية القرآن الكريم إلى تقديس أقوال العلماء وفهومهم، وهذه مشكلة أخرى من مشكلات العقل المسلم والفكر الإسلامي التي تحتاج إلى تقويم وإعادة نظر فيها، لإزاحة عقباتها من طريق خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر، وفتح الآفاق أمام العقل فهماً وتدبراً للقرآن الكريم، "فالمشكلة المستعصية في اختلاط قداسة النص ببشرية التفسير والاجتهاد لذلك النص، وإدراك مرماه، حيث عُد رأي الشيخ أو المتبوع في تفسير نص ما أو فهمه، هو الأمر الوحيد والممكن، والمحتمل، والأكمل لمدلول النص، وصار أي رأي أو احتمال آخر، خروجاً عن الإجماع، أو نوعاً من الابتداع"⁴³، فقداسة الوحي لا تنسحب بالضرورة على المفسر المجتهد مهما علا شأنه، وتبقى اجتهاداً محكوماً عليه بالبشرية، والظرفية الزمانية المكانية التي يؤخذ منها ويرد، ولا عصمة إلا لله ورسوله.

أهمية المقاصد في الخطاب الدعوي المعاصر

المنتبع لفكر الشيخ الغزالي من خلال كتبه وتراثه العلمي، يلحظ مدى اهتمامه بالمقاصد القرآنية الكلية، ولعل من أهم أسباب بروز الاتجاه المقاصدي عنده، فقهه العميق بواقع الأمة الإسلامية، وانخراطه في هموم مجتمعاتها بمختلف أبعادها الفكرية والسياسية والاجتماعية، ومن ثم تميزت فلسفة المقاصد القرآنية في فكره ببعدها الكوني والشمولي، وارتبطت بمنهج في الدعوة والتغيير والبناء الحضاري، فمقاصد القرآن عنده مرتبطة أشد الارتباط بكيان الأمة ومصير الإنسانية أكثر من ارتباطها بالفرد الذي هو محل اهتمام مقاصد الشريعة، على أهميتهما معا "فمقاصد القرآن أعم ومقاصد الشريعة أخص، لأن مقاصد الشريعة مرتبطة بالفرد الواحد، ودائرة في نطاقه باعتبار فردية التبعية، ومسؤولية التكليف، ولكن الحديث عن مقاصد القرآن متعلق باعتبار الإنسان الخليفة، والإنسان الجماعة، والإنسان الدولة"⁴⁴، وربط الفرد فكرا وروحا برؤية إنسانية كونية، أساسها القرآن الكريم، لبنة مهمة لروح الحضارة الإسلامية المعاصرة وفلسفتها، في مواجهة فلسفة الأنا الغربية، منزوعة القيم والأخلاق، والتي تدعي "نهاية التاريخ"⁴⁵، والرقى الإنساني عند أفكارها وفلسفتها التي تفرضها كنموذج على البشرية.

ومن هذا المنطلق يمكن معرفة ضرورة الاهتمام بالمقاصد القرآنية في اجتهادات علماء الإسلام ودعائه المعاصرين، لتنزيل القيم الإسلامية وتطبيقاتها في الواقع الإنساني الحديث، وصياغتها بلغة العصر ومفاهيمه، بتناول الموضوعات التي شغلت الساحة الفكرية الإنسانية، كالحديث عن حقوق الإنسان والحرية والعدل، وقضايا المرأة وغيرها من القضايا في مختلف المجالات ذات الأهمية التي تخدم المجتمعات والأفراد على حد سواء، وكل ما له صلة ببناء الحضارة والعمران وخدمة الإنسان.

فالخطاب القرآني لم يقتصر على القضايا التعبدية والفقهية الفرعية فقط، بقدر ما كان شاملا لكل ما يسمو بحياة الإنسان في هذا الوجود، "ما ورد في القرآن من الألفاظ والمعاني لم يأتي عبثا ولم يقتصر على ترشيد حياة الفرد الإنساني وصلاحه في الدنيا والآخرة وحسب، وإنما كان بالإضافة إلى ذلك يعالج قضايا الحرية والعدل في حياة المجتمع والأمة، ويستهدف بناء الحضارة والعمران وحفظ نظام العالم"⁴⁶.

وما يتعرض له المسلمون اليوم من ضغوط داخلية وخارجية، تهدد خصوصيتهم الحضارية وتضغط عليهم من النظام العالمي، محنة يمكن استثمارها كمنحة لمراجعة تراثنا، وتنقية الأفكار التي حجبت عنا الرؤية العالمية لمعاني القرآن الكريم، وحقائق الإسلام الكبرى، بإعادة صياغة رؤية مقاصدية قرآنية، تحقق شعار صلاحية الإسلام وخلوده". بحيث يكون القرآن الكريم ومقاصده ومفاهيمه الأساسية المحكمة هي الحكم في قبول ما سوى القرآن الكريم من النصوص والاجتهادات والتأويلات، ونسد بذلك على أساس من روح الشريعة كل باب يتأتى منه الخلط والتشويه، والانحراف عن مقاصد القرآن الكريم ورؤيته الكونية، ويكون مشجب الخرافة والشعوذة والتلوث الفكري والثقافي"⁴⁷.

زيادة على ذلك فإن مراعاة المقاصد القرآنية تضيف على تفسير النص القرآني حيوية وفعالية، فبمقدار معرفة المفسر بالمقاصد يكون إدراكه للغايات الكبرى من الخلق والوجود، وتنزيله لآياته على الواقع المعيش، واستنباطه للحكم والأحكام، وهدى القرآن في التعامل مع النفس البشرية، كما أنها تعصمه: "من شطط التأويل، وزيف الفهم، وانسداد الأفق، ولذلك جاء النعي على أقوام أعرضوا عن التدبر، فإذا هم في غفلة عن الأسرار وشغل عن المقاصد ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)"⁴⁸

والمقصد القرآني يمكن أن يكون حلا للأزمة المعرفية التي يعيشها العقل المسلم في تعامله مع نصوص القرآن أو نصوص السنة النبوية المطهرة أو تراث الحضارة الإسلامية عموما، من خلال بناء منهجية ورؤية

جديدة، تهتم بالكليات وتُلحق بها الجزئيات، تراعي الأصول دون تفريط، وتهتم بالفروع دون إفراط. "إن المقاصد القرآنية العليا الحاكمة سوف تخرج الفقيه من دائرة النظر الجزئي إلى دائرة النظر الكلي والفقه الأكبر، وذلك يعطيها من المرونة والسعة ما يجعلها قادرة على استيعاب أية مستجدات، وتحقيق مصالح البشرية، وسد الذرائع بوجه المفسد، التي تترجح كثير من الشعوب تحتها وتبرز خصائص الشريعة القرآنية، وتوصل لفقه قرآني نبوي سليم يستوعب مشكلات الأقليات والأكثريات معا بإذن الله"⁴⁹، نتبين بهذا الأهمية المعرفية والحضارية للمقاصد القرآنية، في تشكيل وبناء التصور الكوني للقيم والرؤية الإسلامية للحياة.

الرؤية المقاصدية للقرآن الكريم في فكر الغزالي

خلص الشيخ محمد الغزالي في الكثير من كتبه وأبحاثه إلى أن الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة، إنما جاءت نتيجة انحراف منهجيتها في التعامل مع نصوص الوحي، التي غلبت عليها النظرة التجزئية والبعد عن الرؤية التكاملية والرشد العقلي في تحليل الأزمات، وضعف التشخيص المعرفي للأمراض السياسية والاجتماعية. تراكم من خلالها الاهتمام بالقضايا الفرعية الجزئية على حساب الكليات والقضايا المصيرية.

وكانت محاولات الشيخ دائبة وحثيثة في إعادة بعث روح القرآن في عقول ونفوس المؤمنين، للارتقاء بهم إلى مستوى الشهود الحضاري كما كان الحال في البدايات الأولى للدعوة الإسلامية زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، والجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، إذ كان القرآن الكريم الدافع الأول، والمحرك الفعال الذي انتقل بهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ومن ضيق الأفق الحضاري، إلى رحاب الشهادة على الناس "الأمة التي نزل عليها القرآن فأعاد صياغتها، هي المعجزة التي تشهد للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه أحسن بناء الأجيال، وأحسن تربية الأمم، وأحسن صياغة جيل قدم الحضارة القرآنية للخلق، فنحن نرى أن العرب عندما قرؤوا القرآن، تحولوا تلقائياً إلى أمة تعرف الشورى وتكره الاستبداد، إلى أمة يسودها العدل الاجتماعي، ولا يُعرف فيها نظام الطبقات، إلى أمة تكره التفرقة العنصرية وتكره أخلاق الكبرياء والترفع على الشعوب"⁵⁰.

وقد لخص الدور الحضاري والتاريخي للقرآن الكريم، رد ربيعي بن عامر على قائد الفرس لما سألته ما الذي جاء بكم؟ فقال: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى سعة الإسلام"⁵¹.

فكانوا بالقرآن فتحاً على العالم، وهداية للإنسانية، وإصلاحاً للفساد الأخلاقي والسياسي والاجتماعي "إنهم فتح جديد للعالم، وحضارة جديدة أنعشت الإنسانية ورفعت مكانتها، لأن الأمة الإسلامية كانت في مستوى القرآن الكريم، والحضارة إنما جاءت ثمرة لبناء القرآن للإنسان. لذلك بدأت تختفي الآثار النفسية والفكرية لأدب الفرس، وفلسفة الروم، لأن القرآن جاء بجديد: حول الكلام والتوجيه من تجريدات ذهنية نظرية جدلية إلى منطق ملاحظة واستقراء، ومنطق وعي الكون واحترامه، والتعرف على سننه ومشروعية التعامل معه لعمارة الأرض وبناء الحضارة"⁵².

فالتوجيه القرآني بلا شك كان له بالغ الأثر في نفوس المؤمنين وعقولهم، تغير من خلاله منظورهم للكون والحياة، وارتقى بهم من الأمية والتخلف إلى عالم المعرفة والتقدم، ونقلهم من البداوة العقلية إلى المدنية والحضارة، ورشحهم للصدارة بين الأمم، وسمح لهم بصياغة قيم جديدة يسير عليها العالم، أعادوا من خلالها النظام والأخلاق للحياة الإنسانية، على أساس الحق والعدل لهم وللناس أجمعين.

خاتمة:

يعتبر العطاء الفكري والدعوي في مجال الدراسات القرآنية من تراث الشيخ محمد الغزالي، إضافة معرفية، ذات قيمة كبيرة وأهمية بالغة في الدراسات الإسلامية المعاصرة، ولبنة أساسية لتجديد الخطاب الدعوي المعاصر. ومحاولة جادة لربطه بالقضايا المصيرية التي تعيشها الأمة في الحاضر والمستقبل، كما أن إنتاجه الدعوي حدد في ثناياه سبل تحقيق القراءة المقاصدية لنصوص القرآن الكريم، وأبانت عن جهوده للخروج من القراءة التجزيئية الحرفية، وإنهاء حالة الفصام بين الوحي وبين الرصيد المعرفي الإنساني، الذي يتقاطع مع مقاصد الإسلام وغاياته لخدمة الإنسان وبناء العمران وتحقيق الإستخلاف والشهود الحضاري.

وبعد الانتهاء من هذه الدراسة التي رصدت محورية القرآن الكريم في الخطاب الدعوي للشيخ محمد الغزالي تم استنتاج ما يلي:

- 1- محورية القرآن في فكر وحياة الفرد المسلم، جعلت كل تجديد لا يستصحب القرآن ولا يحمله ضمن أولوياته مشروعا فاشلا غير قابل للتطبيق أو النجاح.
- 2- أهمية القرآن الكريم في بناء الرؤية المعرفية للخطاب الدعوي المعاصر، أمر لا بد منه لأن الكتاب العزيز هو الذي حفظ للأمة تاريخها وحمل في طياته آليات تطورها وذكر أسباب خرابها وتقهقرها.
- 3- يعتبر تراث الشيخ الغزالي قاعدة معرفية مهمة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها في صياغة خطاب الدعوة الإسلامية المعاصر.
- 4- ثراء الخطاب الدعوي للشيخ الغزالي بنصوص القرآن دليل اهتمامه به، وشاهد على أصالة خطابه الدعوي.
- 5- التوجه العقلي والعلمي للشيخ الغزالي في مدارس القرآن الكريم، وربط نصوصه بالواقع الإنساني المعاصر، نموذج لدعاة الإسلام والمتخصصين في منهج التعامل مع نصوص الوحي.
- 6- فكر الشيخ محمد الغزالي حلقة مهمة في الفكر الإسلامي المعاصر، تميز بانفتاحه على مختلف المدارس والمناهج عكس من خلالها مرونة الإسلام وسماحته.
- 7- تميز الخطاب الدعوي للشيخ الغزالي بالقدرة النقدية الفاحصة، والمعرفة المتنوعة التي تجمع بين الوحي المعصوم، والواقع المتغير.
- 8- أهمية التوجه المقاصدي في الدراسات القرآنية والإسلامية المعاصرة.

الهوامش:

- 1- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد بن هارون، دار الجيل بيروت، ط 1، 1991م، مج 2، ص 198، مادة (خطب).
- 2- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر (بيروت)، ج 1، ص 360 مادة (خطب).
- 3- علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله. (لا ط، لا م: دار الوفاء للنشر والتوزيع، لا ت) ج 1، ص 169.
- 4- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس، مرجع سابق، مج 2، ص 279 - مادة دعا -.
- 5- رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث 4831.
- 6- محمد أمين حسين، خصائص الدعوة الإسلامية. (لا ط، لا م: مطبعة المنارة، لا ت)، ص 17.
- 7- ينظر كتاب "مع الله" محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، 1989م، ص 12؛ وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى

- الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه" ينظر مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن تيمية، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، ج 15، ص157، 158؛ وعرفها الدكتور بدر الدين زواقة " قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان"، ينظر مقال "مجالات الدعوة وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية" - موقع ضياء للمؤتمرات - <https://diae.net/9846> تاريخ النشر 24 ديسمبر، 2012، تاريخ الزيارة 2021.02.03م.
- 8- جاسم سلطان، النسق القرآني ومشروع الإنسان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص9.
- 9- عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة ص 28 الطبعة الثالثة 2005م.
- 10- محمد مجذوب، علماء ومفكرين عرفتهم، ج 1، طبعة 04، ص 265.
- 11- منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إعداد: محمد جلال لاشين، محمد الغزالي قصة حياة، مجلة إسلامية المعرفة، العدد السابع 1997م، ص 5.
- 12- منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مصدر سابق، ص5.
- 13- يوسف القرضاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، مؤسسة الرسالة، الطبعة 01، ص 72.
- 14- المرجع نفسه، ص73.
- 15- المرجع نفسه، ص 131.
- 16- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص32.
- 17- يوسف القرضاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، مرجع سابق، ص131.
- 18- "كانت الدروس التي يلقيها بمسجد عمرو بن العاص رافدا مهما لجماهير غفيرة وخاصة الشباب والمتقنين، ركز فيها الشيخ على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ولم تمض جمعة أو ثلاث حتى صار الجامع الكبير يضيق بالمصلين على اتساعه، يأتي الكثير منهم من خارج القاهرة في سيارات يستأجرونها". في فكر الغزالي، طه جابر العلواني، افتتاحية مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية - 1997م العدد 07 بتصرف.
- 19- عرف برنامجه "أحاديث الإثنين" الذي كان يبثه التلفزيون الجزائري نجاحا كبيرا لدى فئات كبيرة من الشعب الجزائري، وكان برنامج يقدم فيه الشيخ، تفسيراً موضوعياً لبعض سور وآيات القرآن الكريم.
- 20- قدم بالموزة مع تدريسه في جامعة "أم القرى" أحاديث في "إذاعة القرآن الكريم" بلغت الألف حديث. نقلا عن طه جابر العلواني من افتتاحية العدد السابع مجلة "إسلامية المعرفة" جانفي 1997م، ص13، 14.
- 21- عمار طالبي، الشيخ الغزالي كما عرفته في الجزائر، مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية جانفي 1997م، العدد 07، ص 50.
- 22- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 06، 2005م.
- 23- محمد عمارة، الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2009م، ص61.
- 24- محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 05، 2005م.
- 25- محمد عمارة، الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، مصدر سابق، ص 63.
- 26- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الانتفاضة للنشر والتوزيع، (لا ط، لا ت)، قدم الكتاب الدكتور طه جابر العلواني رحمه الله، مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي سابقا ومما جاء فيها "والمدارسة تعمل على استدعاء القرآن في إطار عالمي متغير، وبشروط وعي جديد، لا ندعي أنه قد اكتمل في هذه الدراسة، التي تكمن أهميتها في تصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع القرآن والموضوعات الإسلامية، كخطوة أولى يؤسس بموجبها الوعي المنهجي الإسلامي المعاصر، فهي مدارس تأخذ جانب المراجعة والتقويم لموروثنا الإسلامي من زاويته البشرية" الصفحة رقم 7 من الكتاب.
- 27- مفكر إسلامي بارز، أديب صحفي واسع الاطلاع على التراث العربي والفكر الغربي، مدير مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، شغل عضوية مجلس كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر. وعمل مديراً لتحرير (مجلة الأمة) التي أصدرتها رئاسة المحاكم الشرعية في دولة قطر، فكانت أمّ المجلات الفكرية الإسلامية، ورائدة ترشيد الصحوة الإسلامية، ومهد الأدب الإسلامي، وقام بتدبيح المقالة الإسلامية المتميزة بالأصالة والعمق، ورصد اللقاءات والمنتديات الفكرية، واستضاف على صفحات المجلة العديد من الشخصيات الإسلامية البارزة،

- وسلّط عليها الأضواء، واستطلع مراكز الثقافة، والإشعاع في العالم الإسلامي، واتّجه نحو إصلاح المناهج العقلية، وبناء الشوكة الفكرية، وتنقية الموارد الثقافية في ضوء الكتاب والسنة، وكان يرى في ذلك الرحم والمحضن الذي تتشكل في داخله الأجنّة الحضارية القادرة على استئناف الحياة الإسلامية، وبناء الحضارة الإنسانية.
- 28- محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم - دمشق - ط 03، 2000م.
- 29- المصدر نفسه، ص 8.
- 30- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي للقرآن، دار الشروق، ط 04، 2000 م.
- 31- المصدر نفسه، ص 5.
- 32- مصطفى و نتن، القرآن في فكر الغزالي، مقال منشور بمجلة المعيار جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - العدد الأول 2001م.
- 33- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 36.
- 34- المصدر نفسه، ص 38.
- 35- ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الحديث رقم 3288، خلاصة الحكم: صحيح.
- 36- "وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة لا يعرفون معناه. وقال ابن عباس: "يعني غير عارفين بمعاني الكتاب"، وقال مجاهد وقتادة: "إلا كذباً وباطلاً"، قال الفراء: "الأمانى: الأحاديث المفتعلة"، قال عثمان رضي الله عنه: "ما تمنيت منذ أسلمت (أي ما كذبت)"؛ وأراد بها الأشياء التي كتبها علماءهم من عند أنفسهم ثم أضافوها إلى الله عز وجل، ينظر "معالم التنزيل" للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ)، م 01، ص 115، دار قرطبة للنشر والتوزيع 1409هـ.
- 37- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 14.
- 38- البخاري، الجامع الصحيح، حديث رقم 6930،
- 39- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر بيروت، ص 10، 11.
- 40- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 16.
- 41- المصدر نفسه، ص 17.
- 42- المصدر نفسه، ص 19.
- 43- المصدر نفسه، ص 36.
- 44- زياد خليل محمد، مقاصد القرآن في فكر النورسي، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر ع 21 سنة 2003م.
- 45- نهاية التاريخ والإنسان الأخير: هو كتابٌ فلسفيٌ اجتماعيٌّ، من تأليف العالم والفيلسوف السياسي الأميركي فرانسيس فوكوياما. نشر سنة 1992م، وأطروحته الأساسية أن الديمقراطية الليبرالية بقيمتها عن الحرية، الفردية، المساواة، السيادة الشعبية، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية، تُشكّل مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان وبالتالي عولمة الديمقراطية الليبرالية كصيغة نهائية للحكمة البشرية.
- 46- مجلة إسلامية المعرفة، هيئة التحرير، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عدد 89 سنة 2017م ص 05.
- 47- عبد الحميد أبو سليمان، حوارات منهجية في قضايا نقد متن الحديث الشريف، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 39، سنة 2005 م، ص 251، 252.
- 48- محمد المنتار، الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن، أعمال المؤتمر العالمي لتدبر القرآن الكريم، الدوحة 2013م، ص 02.
- 49- زينب العلواني، مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 46.
- 50- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مصدر سابق، ص 30.
- 51- محمد ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7 ص 919، دار بن كثير.
- 52- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مصدر سابق، ص 30.